## أغراض الخبر المجازية

الجملة الخبرية باعتبار المخاطب والمتلقي تفيد غرضين رئيسين، هما: فائدة الخبر ولازم الفائدة، ولكنه قد يرد الخبر على غير هذين الغرضين فيخرج إلى أغراض مجازية كثيرة، منها:

**١. التهكم والسخرية:**

قد لا يراد ببعض الجمل التي لها ظاهر شكلي تأكيدي معنى التوكيد لأسباب مقامية كثيرة قد تتعلق بعضها بمنشئ الرسالة أو بمتلقيها، وقد تتعلق بزمان تلك الرسالة ومكانها أو طبيعة الموضوع نفسه، فتؤثر تلك العوامل في دلالة الجملة بشكل أو بآخر، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾، إذ الخبر في هذه الآية الكريمة يحفه ـ شكلًا ـ توكيدان **الأول:** (إنَّ)، **والثاني:** ضمير الفصل (أنت)، وعلى الرغم من ذلك فإننا لا نلمس في تلك الجملة ذلك الـمَعْنَى الخبري المؤكَّد لسبب سِيَاقي يتمثل في حال المخاطَب، فموقف أبي جهل من النبي محمد (ﷺ)، ومن الدين الإسلامي معروف، ولا يعقل أن يخاطب من هكذا حاله بهذه العبارات فيوصف بالعزة والكرم، فكان معنى التهكم والسخرية هو الـمَعْنَى الأقرب لهذا الأُسْلُوب.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**﴾، يطالعنا هذا التركيب الخبري **(لأَجِدَنَّ)** الَّذِي يحتوي على حرفي توكيد، هما: **(اللام)** و**(نون التوكيد الثقيلة)** على لسان المشرك المنكر لقيام الآخرة لا ليفيد الأُسْلُوب الخبري توكيدًا، وإنَّما ليسخر ويتهكم بصاحبه، والَّذِي يدعونا إلى هذا الـمَعْنَى هو السِّيَاق اللُّغَويّ السابق المتمثل بـ:

١ـ وصف الحق تبارك وتعالى لقائل هذا النَّصِّ بأنَّه **(ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)**.

٢ـ بيان اعتقاد المتكلم عبر قوله عن جنته **(مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً)**، وقوله أيضًا: **(وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً)**، إذ إنَّ اعتقاد القائل بدوام الحياة الدنيا، واعتقاده من جهة أخرى بنفي قيام الآخرة، تعدُّ قرائن لغوية نافية للمعنى الظاهر الناتج من دخول أداتي التوكيد على الجملة الخبرية، وداعيةً في الوقت نفسه إلى إيجاد توجيه ثان يتناسب ومعتقده، فضلًا عن هذه الدلائل اللُّغَويَّة السابقة ثمة قرينة لغوية لاحقة تمثلت بقول صاحبه له في أثناء محاورته **(أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً)**، وهذه كلُّها موجِّهات لغوية ترجِّح معنى السخرية أو التهكم لهذا التركيب.

**٢. إظهار الضعف،** قال المتنبي:

**عليلُ الجسمِ ممتنعُ القيامِ  شديدُ السكرِ من غير المدامِ**

فالمتنبي في هذا البيت لا يريد أن يزود متلقيه بمعلومة ما، بل يريد أن يبين حالة الضعف التي وصل إليها.

**٣. الدعاء والاسترحام:**

قال تعالى حاكيًا حال موسى (عليه السلام) مع ابنتي النبي شعيب(عليه السلام): ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وَأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ، فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا**﴾. فقوله (عليه السلام): **(رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)** وإنْ كان خبريًا في شكله إذ صُدِّر بعد نداء الله بـ (إنَّ) الدالة على توكيد الخبر إلاَّ أنَّه يحمل دلالة طلبية مفادها الدعاء والاسترحام ما لبث أن استجاب إليها الحق تبارك وتعالى **(فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا)**، ودليلنا على هذا التوجيه فضلًا عمَّا ذكرناه من سِيَاق لغوي لاحق يوضح مراده أو مقصده من هذه الجملة ما نجده من وصف لحال النبي موسى (عليه السلام) في مواطن أخرى من السورة نفسها، إذ يقول: ﴿**وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ، فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾، فحال النبي (عليه السلام) من الخوف يترقب من يتبعه في طريق لا يعرفه على مسيرة ثمانية أيامٍ، بعد أن خرج بهذه الصورة غير المتوقعة التي يخبرنا بها الحق تبارك وتعالى من دون متاعٍ يعينه على تحمل أعباء هذا السفر هي التي دعت أغلب المفسرين إلى القول بمعنى طلب الطعام دعاءً واسترحامًا لا إخبارًا.

**٤. العناية والاهتمام:**

نجد في قوله تعالى: ﴿**وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ**﴾، قولين للمنافقين، الأول: تمثل بالجملة الفعلية **(آمَنَّا)** وهو قول موجَّه إلى جمع من المؤمنين في حين جاء قولهم الثاني: **(إِنَّا مَعَكُمْ)** جملة اسمية موكَّدة بـ (إنَّ)، وموجهة إلى شياطينهم، فالقائل ـ في هذه الآية الكريمة ـ واحد، والمخاطَب مختلف، ولذا جاز هذا التغاير الأُسْلُوبي، يقول الزمخشري: "فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالاسمية محققة بـ(إنَّ)؟ قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما، لأنَّهم في ادِّعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم، لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إمَّا لأنَّ أنفسهم لا تساعدهم عليه، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرِّك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد، وإمَّا لأنَّه لا يروج عنهم لو

قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة. وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الَّذِين مثلهم في التوراة والإنجيل. ألا ترى إلى حكاية اللَّه قول المؤمنين: **(رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا)**. وأما مخاطبة إخوانهم، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم، فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد".

فحمل الخبر على ما يقتضيه الظاهر أو على خلاف ما يقتضيه أمر راجع إلى السِّيَاق وحدَه، وهو ما تأكد لنا من خلال اختلاف الأُسْلُوب النَّحْوِي بين تأكيد الخبر وعدم تأكيده في هذه الآية، وكذلك من خلال ما ذكره الزمخشري من مقارنة بين قوله هنا: **(وَإِذا لَقُوا الَّذِين آمَنُوا قالُوا آمَنَّا)**، وقوله في آية أخرى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا**﴾، لأنَّ كلام المؤمن لربه في الآية الثانية صادر عن إيمان وقوة عقيدة في حين أن كلام المنافقين للمؤمنين في الآية الأولى على خلاف ذلك، لذا وجدنا اختلافًا بين الأُسْلُوبين النحويين يتناسب وحال كل من المتكلم والمخاطَب والعلاقة بينهما.

**٥. الاستغفار:**

قال تعالى على لسان موسى (عليه السلام): ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾، فجاء بالخبر مؤكَّدًا في قوله **(إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي)** تمهيدًا لما يجيء بعد ذلك من دعاء بالمغفرة فموسى (عليه السلام) قد أظهر الاستغفار أولًا ثم طلب المغفرة عبر هذا الأُسْلُوب الخبري المؤكَّد على الرغم من علمه بأن الله مطلع على ظلمه لنفسه، فعمل على توجيه دلالة الاستغفار هنا مرجِّحان:

١ـ **لغوي لاحق** تمثل في طلبه المغفرة **(فَاغْفِرْ لِي)** التي استجاب لها الله عزَّ وجلَّ **(فَغَفَرَ لَهُ)**؛ لأنَّه **(هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)**.

٢ـ**خارجي** تمثل في معرفتنا بعلم موسى (عليه السلام) باطلاع الله عزَّ وجلَّ على ظلمه لنفسه.

وقد أكَّد بعض المفسرين هذا المَعْنَى في آية أخرى وهي قوله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿**وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾، فالإخبار المؤكَّد في هذه الآية جاء على سبيل الإقرار بالذنب والاستغفار بدليل سِيَاقها اللُّغَويِّ اللاحق **(إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)**.

**٦. الاستعطاف:**

ليس ثمة شك في أنَّ الغاية من الأُسْلُوب الخبري إنَّما تكمن في تقوية مضمون الخبر، فإذا ما جاء خبرٌ على خلاف هذه الغاية فإننا نبحث في الأسرار البلاغية التي تقف وراءه، ففي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾، لا فائدة تذكر من توكيد خبره **(إِنَّنَا آمَنَّا)** في مثل هذا الموقف فالله (سبحانه

وتعالى) أعلم منهم بحالهم وإنَّما الفائدة التي يمكن أن تجنى من هذا التركيب هي معنى الاستعطاف على تقدير أن هذا الكَلَام موجه من الَّذِين آمنوا إلى الله سبحانه وتعالى يستعطفونه فيه ويطلبون منه المغفرة، فيقولوا: بإيماننا بك وبما شرعته لنا اغفر لنا ونجنا من عذاب النار، ولعلَّ ما يعضد هذا التأويل أنَّ المتكلم قد اتبع كلامه هذا بدعائين، هما: **(اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)**، و**(قِنَا عَذَابَ النَّارِ)**، فالمَعْنَى أنَّهم "يقولون: إنَّنا صدَّقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك **(فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)... (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)**".

**٧. النهي:**

قد يبدو الشكل الظاهر للأسلوب خبريًا، لكنَّه لا يدل على الخبر لدواعٍ مقامية كثيرة، ومنها السِّيَاق اللغوي، ففي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِين يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾، ما يدلل على هذا الكَلَام إذ يعمل السِّيَاق اللُّغَويّ اللاحق الَّذِي يحمل معنى الوعيد: (**إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**) في الآية المباركة على تحويل دلالة الأُسْلُوب الخبري إلى معنى النهي، إذ ينهى الله سبحانه وتعالى عن أكل مال اليتيم ظلمًا.

٨. **الفخر**، قال المتنبي يفخر بنفسه:

**أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي  وأسمعت كلماتي من به صمم**

**٩. العجز أو القصور:**

جاء الخبر في قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾ مؤكَّدًا بـ (إنَّ) وليس المقصود بهذا الخبر تأكيد مضمونه؛ لأن هذا منافٍ لحال المتكلم (الملائكة)، وحال المخاطَب (الله) سبحانه وتعالى، وإنَّما المقصود بهذا الخبر هو "إنشاء الاعتراف بالعجز والقصور إذ فائدة الخبر ولازمها منتفيتان معاً، أي اعتراف بالعجز عن إدراك كل شيء، فيدخل عجزهم عن إدراك حكمة ذلك دخولًا أوليًا، أو اعتراف عن عجزهم عن إدراك حكمته إلا بإلهامه تعالى وتعليمه، والأول أبلغ وأوفق للنظم الجليل، وإن كان الثاني أنسب بالمقام".

ولعلَّ ما يرجِّح هذا الـمَعْنَى أنَّه جاء في سِيَاق تحدٍ من الله سبحانه وتعالى للملائكة بعد اعتراضهم على اختيار الله عزَّ وجلَّ لخليفة في الأرض من دونهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾، فبان عجزهم في هذا التحدي الإلهي وأقروا بقصورهم عن إدراك حكمته سبحانه وتعالى.

**١٠.الأمر:**

قال تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾، فجاء بالأمر على صيغة الخبر، ومثله قوله: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾، فهذا خبر احتمل معنى الأمر.

**١٠.الحسرة والندامة:**

ومن هذا النوع من الخبر قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّيء نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾، إذ جاء هذا الخبر الإنكاري (**وَمَا أُبَرِّيء نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**) على لسان امرأة العزيز مؤكَّدًا بمؤكِّدين، هما (إنَّ) و(اللام المزحلقة) كنوع من إظهار الحسرة والندامة لما فعلته، بدليل حال المخاطَب وهو الله (سبحانه وتعالى) الذي لا يخفى عليه شيء، ومثله قوله تعالى: ﴿**قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى**﴾، وهو أسلوب خبري جاء على لسان امرأة عمران وهي تخاطب ربَّها سبحانه وتعالى، ولا يعقل أن يعطي هذا الأُسْلُوب معنى خبريًا لانتفاء هذا على من تخاطب، فالله عزَّ وجلَّ عليم خبير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو يعلم بما وضعت، وإنما جاء هذا الأُسْلُوب على سبيل التحسر لا الإخبار؛ لأنها كانت تتمنى أن يكون ولدًا يصلح للخدمة، ولذلك نذرته محرراً.

١١. **المدح،** قال الشاعر:

**يغضي حياءً ويغضى من مهابته  فلا يكلم إلا حين يبتسم**

ومنه قول النابغة الذبياني:

**فإنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ  إذا طلعتَ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ**